التوظيـــف القرآنـــي في شعـــر احمـــد مطـــر

الأستاذ المساعد الدكتور
حافظ كوزي عبد العال المنصوري
جامعة الكوفة - كلية الآداب

المقدمة:

منذ ان اطلعتُ على المجموعة الشعرية الكاملة للشاعر البصري المعاصر (احمد مطر) أخذني الإعجاب،بما في هذه المجموعة من دُرَر ونفائس ،ولشدة إعجابي بها دونت على صفحتها الأولى هذه العبارة ((إلى احمد مطر،لقد وجدتُ فيك نفسي،وكنتُ ازداد إعجابا كلما عاودت القراءة فيها وعلى إثر ذلك كانت لي أكثر من جولة متواضعة مع شعر احمد مطر.وموضوع البحث هذا (التوظيف القرآني في شعر احمد مطر)) كان حصيلة هذا الإعجاب.

وقد استوقفني هذا الموضوع وطريقة الشاعر في التعامل مع النص القرآني وأسلوبه البارع اللماح اللافت للنظر مما دعاني إلى دراسته ،وكان نتيجة ذلك هذا البحث الذي جاء في أربعة مباحث.

النص القرآني وأهميته في التوظيف الأدبي

مدخل :

يبقى القرآن الكريم بما يضم بين دفتيه من القيم الفكرية والجمالية والبلاغية والفنية والنقدية والأسلوبية واللغوية مثلاً أعلى للدارسين وللأدباء والكتاب،يسعون للحاق بأسلوبه وبلاغته من دون ان يلحقوا وما زال الدرس والبحث ينقر في بطون هذا الكتاب ،ولم يستطع ان يحيط به من إسرار.وذلك لان مايميزالكتب المقدسة وأمهات النصوص والإعمال الفلسفية والآثار

الشعرية،الاتساع والتجرد ولاسيما القرآن الكريم فأنه يتجدد مع الزمن ويتجدد مع تجدد القراءات له ويتجدد مع اختلاف العصور والعوالم الثقافية،بل ان هذه الكتب المقدسة تتعارض بتعارض الإيديولوجيات والاستراتيجات ،والقرآن ابرز تلك الكتب،وهو من أكثر الكتب حثاً على القراءة واستدعاء لها[١].

ووصف بعضهم القرآن كريش الطاووس لتعدد قراءاته واختلاف تفاسيره[٢] وقيل عن القرآن بأنه حمال أوجه ففي ميدان اللغة تُعَدُ لغة القرآن مثلاً اعلى في البناء اللغوي والتركيبي ((فالقرآن وجود لغوي رُكب ما فيه على ان يبقى خالداً مع الإنسانية))[٣] وليس لأحد ان يحيط بإسرارها ولا يزيد التمعن بها الاّ إذعانا بعظمتها واعترافا بالعجز عن مجاراتها. ولا ننسى ما قاله ابن الأثير عن لغة القرآن((وكفى بالقرآن آلة وأداة في استعمال أفانين الكلام))[٤].وفي مجال الموسيقى والإيقاع فقد فاق القرآن موسيقى العرب وأوزانهم الخليلية على الرغم من انه ليس كتاب شعر ولا نثر وإنما هو أسلوب متميز بحد ذاته ،نسيج مادته من المادة اللغوية والإيقاعية التي عرفها العرب،ولكنها مادة لا تنفصل عن المقاصد والغايات المؤسسة في النص القرآني.[٥]

فالوعي بالظاهرة القرآنية لغة وأسلوبا وإيقاعا عمق لدينا الفكرة القائلة بان النص القرآني كائن لغوي خاص له جمالياته المتفردة التي تؤكد انه من لدن صانع خبير وحكيم[٦].

فضلاً عن ذلك فان خصيصة التجدد والاتساع في القرآن جعلته يتواءم مع كل تجديد وحداثة فالنص القرآني يحمل جذور الحداثة،ذلك ان الدراسات

القرآنية وضعت أسساً نقدية جديدة لدراسة الفن،بل ابتكرت علماً للجمال جديداً،وكان نصيب النص القرآني هو الأوفر في النظرية الجمالية الجديدة[٧].

فالشعرية تكمن بالأحرى في النص الذي يحمل تأويلات مختلفة ومعاني متعددة تذهب النفس فيه كل مذهب[٨] .وهذا ما يكسب النص القرآني شعرية وأدبية يجعله مثلاً لكل شاعر وأديب.

كل هذه المزايا وغيرها جعلت الشعراء يعمدون إلى توشيح نصوصهم الشعرية بنصوص من الكتاب الحكيم بل يتبارون في ذلك لان ((اقتراب الشاعر من النص القرآني والتزامه الأسلوب القرآني يسمو بفنه ويجعله يتفيأ بظلال لغوية معجزة[٩].

ولشاعرنا احمد مطر نصيب كبير في هذا المجال ينطلق فيه من ثقافة قرآنية ومعرفة واطلاع على الكتاب الحكيم.كما سنلاحظ ذلك في أثناء البحث.

التوظيف القرآني في شعر احمد مطر

مهاد نظري:

لم يكن التوظيف القرآني في شعر احمد مطر تقليداً لمن سبقه من الشعراء الذين تأثروا بالفن القرآني واستلهموا بعض نصوصه رغبة منهم في أغناء إعمالهم الشعرية وتوثيقها وتقوية معانيها،وإنما كان توظيفه لنصوص وآيات ومفردات قرآنية توظيفاً جديداً،احسب أن أحدا لم يسبقه إلى هذا الأسلوب الشعري الذي مزج فيه كل صفوف الحداثة الشعرية الجديدة،فلم يكن يستعمل المفردة أو النص أو القصة القرآنية لتقوية معانيه الشعرية،فقط وإنما كان يخرج من خلال ذلك الاستعمال إلى دلالات جديدة قد تكون دلالات مخالفة للمعنى القرآني،أحيانا لأنها مبنية على أسلوب المفارقة والسخرية،يَعمدُ فيها إلى عرض وضع سياسي لا يتلاءم مع طموحه وآرائه أو لا يتلاءم مع المجتمع

وتطلعاته وأهدافه أو عرض تصرف مشين، لأحد أعمدة السلطة،وهو في كل ذلك يلح على الإتيان بصورة جديدة مؤثرة وفاعلة،مستوحاة من النص القرآني ولكنها تختلف تماماً عن المعنى الذي قصده القرآن، فغالبا ما يكون هدفه عرض لحالة تصادم بين مفهوم قرآني إسلامي وتصرف مضاد لذلك المفهوم من لدن سياسي أو مسؤول في نظام جائر مستبد بطريقة مبنية على المفارقة الساخرة.ولكنه يستند إلى المعنى القرآني الذي يكون متكأه في رسم ملامح الصورة الساخرة ،ثم اعتماده على ثقافة القارئ والملتقي الدينية في فهم صِوَرِه ودلالاته التي قد تكون احياناً بعيدة عن الفهم.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى،ان احمد مطر قد وشح نصوصه الشعرية بنصوص قرآنية أكسبتها بعداً دلاليا،ولغوياً، وموسيقياً وفنياً أضفى عليها جلالة وجمالاً حببها إلى نفس القارئ والمتلقي لأنه ربط من خلالها الحادثة الحاضرة بالحادثة القرآنية التراثية والأدبية ،و ان إشاعة هذه النصوص والتعبيرات القرآنية أضفت جمالاً على نصه الشعري،لان القرآن في لغته وفي أسلوبه متميز ، فلغته صارت مثالاً لا يستطيع احد ان يلحق بها وأسلوبه مهوى أفئدة الدارسين والأدباء والشعراء ،وأما موسيقاه فقد فاقت العروض العربي الخليلي على الرغم من انه ليس شعراً ولا نثراً. فهو نص فيه حلاوة وطلاوة ،وهو مغدق ومثمر وهو يعلو ولا يُعلى عليه.

فضلاً عن ذلك فان الاتساع والشمولية التي تميز بها شعر احمد مطر قادته الى توظيف كثيراً من مفردات القرآن في أساليب شعرية حديثة،فقد استعمل احمد مطر صنوفاً من أساليب الحداثة كالسرد والرمز والقصة والومضة والحكاية وغيرها،ولكن البحث لم يتطرق إلى كل هذه الاستعمالات وانما

اقتصر على ذكر توظيف بعضها كتوظيف القصة كقصة إبراهيم،وادم عليهما السلام وقصة هجرة الرسول محمد (ﷺ)من مكة إلى المدينة وقصص أخرى.

كما درس البحث توظيف الشاعر لبعض معاني النصوص القرآنية لأنه في بعض حالات التوظيف لم يستخدم النص كاملاً أو يستعمله استعمالاً مباشرا وانما قد يكتفي بمعناه أو يذكر جزءاً من ذلك النص كتوظيفه لمعنى الآية ((والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما.....))

كذلك درس البحث توظيف بعض النصوص مع تحريف بعض النص بما يتلاءم مع السياق الشعري.

وأخيرا درس البحث توظيف المفردة القرآنية وكان للباحث وجهة نظر مغايرة لما شاع من دراسات عن المفردة في النص الأدبي.

ومن الجدير ذكره ان احمد مطر كان يعتمد في استعمالاته المعاكسة للمعاني القرآنية على ثقافة القارئ الدينية وفهمه للنصوص القرآنية والقصص القرآني ليكون ذلك هو الركيزة التي يستند إليها في خروجه إلى دلالات جديدة ساخرة أو معاكسة للمعاني القرآنية،لأنه لا يمكن الخروج إلى دلالات جديدة إلا بالاستناد إلى المعاني الأساسية للنص أو المفردة.

ومن المفيد ان نذكر ان توظيف احمد مطر للنصوص القرآنية لم يكن على سبيل الاقتباس المباشر أو غير المباشر مما درج عليه الشعراء أو الأدباء والكتاب،لان اقتباساتهم التي يمكن ان توصف بأنها تقليدية من ديدنها ان تحافظ على المعنى في النص المقتبس وتحرص على ان يكون النص الأدبي موائماً للنص القرآني،فيكون النص القرآني داعماً للمعنى الشعري أو الأدبي،وانما هي اقتباسات معاكسة أو مضادة للمعنى الأصلي ولكنها تستند

إليه،معتمدا على ثقافة القارئ في فهم الدلالة الجديدة القائمة على المفارقة المضادة والسخرية الهادفة.

وعلى الرغم من كل هذا التجديد في استعمالات النص القرآني ،فان القرآن الكريم بنصوصه الغزيرة يبقى المثل الأعلى لكل شاعر ولكل أديب،ويبقى اللحاق بالأسلوب القرآني غاية كل مبدع. لما في هذا القرآن من ثراء فكري وأدبي ولغوي وإيقاعي وديني وتراثي متجدد لا ينفد ولا يعفو عليه الزمن،لان القرآن يصلح لكل زمان ومكان.

ويبقى القرآن ريش الطاووس البراق يغري من يراه.

المبحث الأول

توظيف القصة القرآنية

أصبحت قصص الأنبياء(عليهم السلام)وغيرهم في القرآن مثار إعجاب القراء عامة والأدباء والشعراء خاصة،فراحوا يستلهمون معانيها وإحداثها ودلالاتها ،وما فيها من عِبَر أخلاقية وتربوية وحِكم ومعان تراثية رائعة،ومن المعلوم ان هذه القصص وإعلامها أصبحت رموزاً غنية بإيحاءاتها تحمل ابعاداً تربوية واجتماعية ودينية ،واستعمال الشاعر لهذه القصص يحفز القارئ ويجعله يقفز بذاكرته إلى استرجاع هذه القصص وأجوائها.

وقد عرض احمد مطر في مجموعة من نصوصه الشعرية عددا من القصص القرآني مستفيداً مما تحمله هذه القصص من دلالات إيحائية موظفاً اياها على طريقته الخاصة.من ذلك قصيدته (رؤيا إبراهيم)[١٠].

يا مولانا إبراهيم
أغمدْ سكينكَ للمقبض
واقبض أجرك من أصحاب الفيل

لا تأخذك الرأفة فيه
بدينِ البيت الأبيض
نفذ رؤياك ولا تجنح للتأويلْ
لن ينزل َكبش ولا تأملَ بالتبديلْ
يا مولانا ؛ إنْ لم تذبحْهُ نذبحكَ
فهذا زمن آخر
يفدى فيه الكبش
بإسماعيل.

القصيدة مستوحاة من قصة إبراهيم نبي الله مع ولده إسماعيل (عليهما السلام)إذ رأى انه يذبح ولده كما في قوله تعالى[١١]((قال يا بني اني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبتِ افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين)).

ففي الآية اختبار وابتلاء لنبي الله إبراهيم (عليه السلام) إذ يقدم على تنفيذ رؤياه في ذبحه ابنه إسماعيل . وفيها اختبار لإسماعيل الذي أطاع أمر أبيه إذ قال يا أبتِ افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين ، لقد استجاب إبراهيم لإرادة السماء ولكن الله في نهاية المطاف افتدى إسماعيل بكبش عظيم كما في قوله تعالى((وفديناه بذبح عظيم))[١٢] ولكن الشاعر يوظف معنى الآية في دلالة أخرى مفادها ان المشركين أرادوا ان يعصي إبراهيم ربه ويذبح ابنه ليقبض أجره من (أصحاب الفيل) وهم رمز الخيانة والدمار وقصتهم في القرآن معروفة في سورة الفيل ويأمرونه ان لا تأخذه رأفة في ذبح ابنه ولا ينتظر فداء له ولا تأويلا آخر لرؤياه وهم يقسمون عليه (بدين البيت الأبيض) وهذه إشارة للسياسة الأمريكية وإذنابها في المنطقة العربية التي يرى فيها الشاعر أنها

رمز للخيانة والتآمر على المبادئ الإسلامية والقيم السماوية .على الرغم من أنه لم يكن يهدف الى الدفاع عن المبادئ الإسلامية.

وهناك إشارة ذكية في قوله يا مولانا إنْ لم تذبحْهُ نذبحك فهناك آمر يحب تنفيذ أمره وهناك مأمور عليه تنفيذ الأمر وإلا يُغلب على أمره ويُصبح ضحية.

فالدلالات المستفادة من النص هي ان الهيمنة والتسلط ما يزال يسري في البلاد العربية وان حكامها تبع لغيرهم ينفذون بالقوة ما يؤمرون به،والشعب ضحية.

وفي قصيدة عنوانها ((قف ورتل سورة النسف على رأس الوثن)) يقول[١٣]:

لا تهاجر .
كلُ مَنْ حولك غادر
كلُّ ما حولك غادر
لا تدعْ نفسك تدري بنواياك الدفينة
وعلى نفسك من نفسك حاذر
هذه الصحراء ما عادتْ أمينة
هذه الصحراء في صحرائها الكبرى سجينة
حولها الف سفينة
وعلى أنفاسها مليون طائر
ترصد الجهر وما يخفى بأعماق الضمائر
وعلى باب المدينة وقفت خمسون قينة
حسبما تقضي الأوامر
تضرب الدفَّ وتشدو

أنت مجنون وساحر
لا تهاجر .
أين نمضي رقم الناقة معروف
وأوصافك في كل المخافر
ولدى الرمل أوامر
ان يماشيك لكي يرفع بصمات الحوافر
اخفِ إيمانك فالإيمان - أستغفرك - إحدى الكبائر
لا تقل انك شاعر
سوف يلقونك في الحبس
ولن يطبع آياتك ناشر

❖❖❖

امضِ ما شئت وحيداً
لا تسل أين الرجال
كل أصحابك رهن الاعتقال
فالذي نام بمأواك أجير متآمر
ورفيق الدرب جاسوس عميل للدوائر
وابنُ مَن نامت على حرِّ الرمال
في سبيل الله، كافر !

❖❖❖

أنت مقتول على أية حال
سترى غاراً فلا تمشي إمامه
ذلك الغار كمين

وترى لغماً على شكل حمامة
وترى آلة تسجيل
على هيأة بيت العنكبوت

❖❖❖

أنت مطلوب على كل المحاور
لا تهاجر

❖❖❖

قف كما أنت، ورتل سورة النسف على رأس الوثن

النص الشعري يدور في فلك قصة هجرة الرسول الكريم(ﷺ) من مكة إلى المدينة إذ قرر المشركون قتله والقضاء على دعوته الجديدة التي استهدفت عبادتهم عبادة الشرك. والشاعر هنا يستحضر كل أجواء قصة الرسول ﷺالمذكورة في الآية القرنية ((...إذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لن تروها...))[١٤].

هذه الشخصية الإسلامية التاريخية التي يستحضرها الشعراء والأدباء في محاولة منهم لإحياء ما تثيره هذه الشخصية الكريمة من مشاعر إنسانية عميقة تتسع لتجسيد وجهة نظرهم في رفضهم للواقع المرير،والسعي إلى بنائه.على وفق أسس وقيم أخلاقية جديدة[١٥].

لقد استحضر احمد مطر كل ملابسات قصة هجرة الرسول محمد (ﷺ) ابتداءً بمن حاول قتله،ثم خروجه مع صاحبه وتركه الإمام علي عليه السلام في فراشه،ثم سيره في الصحراء ودخوله الغار والعنكبوت الذي نسج نسيجه على باب الغار والحمامة التي باضت على النسيج ،ثم استقبال نساء الأنصار له وهن يضربن الدفوف احتفاءً بمقدمه الكريم ،هذه كلها مفردات رافقت هجرة

الرسول وكان الأكثر منها سنداً للرسول ومساعداً له. ولكن احمد مطر في نصه الشعري يعقد مقارنة بين هذه الحادثة التاريخية وما رافقها وبين وضع الإنسان العربي في وقتنا المعاصر .وربما كان الشاعر نفسه أنموذجا لهذا الإنسان المعاصر ،فقد تعرض للضغط والتنكيل واجبر على الهجرة من وطنه العراق إلى دولة الكويت عبرَ الصحراء ثم إلى لندن حيث يعيش الآن .ولكن الشاعر يوظف ما رافق هجرة الرسول توظيفاً معاكساً على الرغم من التشابه في الأسباب والأهداف فالأسباب التي دعت الرسول للهجرة مشابهة إلى حدٍ ما للأسباب التي تدعو الإنسان العربي المضطهد للهجرة وترك الوطن وأما الأهداف فكل من الاثنين يحمل قضية إنسانية فالرسول صاحب دعوة تدعو لإقامة دين الله الحنيف وتطبيقه في الأرض، والإنسان العربي المضطهد يريد ان يحصل على حقوقه في العيش الكريم عن طريق تطبيق دين الله الحنيف ولكن احمد مطر يسلب من الطرف المعاصر (الإنسان العربي) كل شيء من الأشياء التي أحاطت بهجرة الرسول . فمن ذلك

- ان الاصحاب غادرون (كل من حولك غادر....)
- ان الصحراء التي احتضنت الرسول لم تكن أمينة الآن

هذه الصحراء ما عادت أمينة

حولها الف سفينة

وعلى أنفاسها مليون طائر

- وهذه الذوات الجاسوسية التي يبثها النظام دقيقة في رصدها كل شيء (تَرصدُ الجهر وما يخفى بأعماق الضمائر)
- وإذا كانت نساء الأنصار قد استقبلن الرسول بالدفوف فالآن تقف خمسون قينة تضرب بالدفوف وتقول أنت مجنون وساحر لا تهاجر.

- وإذا كان الرسول يجد السير في الصحراء العريضة فالآن في وقتنا المعاصر أرقام السيارات معروفة والمخبرون يضعون أوصاف المهاجرين المطلوبين للنظام في كل المخافر ونقاط الحدود.
- وإذا كان الرسول ﷺ قد هيأ الله - سبحانه - له ما يخفى آثاره فالآن في عصرنا يكثر الجواسيس والمخبرون وأعوان السلطة.

فلدى الرمل أوامر أن يماشيك لكي يرفع بصمات الحوافر .

- وإذا كان المسلمون يتلقون آيات الرسول من فمه فالشعر هنا فحشٌ وجرح للشاعر ،ولن يقدم احد على طبع قصائد الشاعر وهكذا .

فالأصحاب رهن الاعتقال

ورفيق الدرب جاسوس ،عميل للدوائر .

ينتقل احمد مطر إلى إسقاط هذه التداعيات على نفسه كأنموذج ممثل للإنسان المعاصر فهو في حالة مراقبة وتتبع من لدن السلطة فهي تراقبه في إيمانه وتراقب شعره المعبر عن هذا الإيمان .

ويعطي الحالة هذه بعداً اكبر مازجاً بين قضية الرسول محمد(ﷺ) وهي قضية دينية إيمانية ،وحالة تحرر من قيود اجتماعية عبادية غير صحيحة وبين قضيته هو وموقفه من السلطة الظالمة التي كانت تراقبه في كل شيء.وتبلغ حالة التمازج حين يقول:

أنت أمي فلا تقرأ ولا تكتب
ولا تحمل يراعاً أو دفاتر
سوف يلقونك في السجن
ولن يطبع آياتك ناشر

وكأنه يذّكر بما قاله المشركون للرسول (ﷺ) انكَ أمي لا تقرأ ولا تكتب فمن أين جئت بهذا القرآن ،انك ساحر وكاهن ولكن آيات الرسول (ﷺ)كان المسلمون يتلقفونها،ولكن شعر احمد مطر كان ممنوعاً من التداول.

لقد وظف احمد مطر قصة هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) توظيفاً جمالياً نفذ من خلاله إلى إعطاء نصه الشعري مسحة شعرية عالية من ابرز أسبابها الإيقاع الموسيقي المتدفق بين سطور النص المتمثل في استعمال تراكيب ومفردات ذات جرس عالٍ.

كذلك أعطى الشاعر نصه بعداً تراثياً يتمثل في استعراضه لمفردات هجرة الرسول (ﷺ) وإشارته إلى كثير من القضايا التاريخية والدينية التي أكسبت النص شعرية عالية لان الشعرية في بعض حالاتها تتحقق في البعد الفكري فضلاً عن البعد الإيقاعي والموسيقى ،إذ يتواشج الجميع في ثوب لغوي يعبر عن تلك الحالات .

لقد كانت تلك الذوات التي وظفها الشاعر في نصه بمثابة ركائز وثوابت أعطت النص إشعاعات جمالية نورت جوانبه وأنقذته من حالة الرمزية المفرطة والأسلوب غير المباشر البعيد في بعض جوانبه عن الفهم.

وفي قصيدته (الفتنة اللقيطة)يوظف احمد مطر قصة ((هابيل وقابيل)) وَلدَيَ ادم عليه السلام الذين لم يكن سواهما في الأرض ،وكانت الأرض ملكاً لهما ولكن الأرض على سعتها قد ضاقت بهما فكانا قاتلاً وقتيلا ولم يُصدِّق ذلك احد ، لو لم يجيء في محكم التنزيل . يوظف احمد مطر هذه الحادثة القرآنية مستفيداً منها في معنى ودلالة أخرى يقول(١٧).

اثنان لا سواكما ، والأرض ملك لكما
لو سار كل منكما بخطوه الطويل

لما التقت خطاكما إلا خلال ميل
فكيف ضاقت بكما فكنتما القاتل والقتيل
قابيل .. يا قابيل
لو لم يجئ ذكركما في محكم التنزيل
لقلت مستحيل
مَنْ زرع الفتنة بينكما
ولم تكن في الأرض إسرائيل

لقد جعل الشاعر إسرائيل رمز الفتنة في الكون كله فليس هناك فتنة مالم تكن هناك إسرائيل ولذلك فهو مستغرب من حصول الفتنة التي أدت إلى القتل،إذ قتل قابيل أخاه هابيل،وهو يركز على كلمة(قابيل) يقول :-

(قابيل يا قابيل)

إذ عدّه رمز العداوة .

لقد وظف الشاعر هذه القصة التي وردت في القرآن في سورة المائدة بقوله تعالى ((... لئن بسطت يدك اليّ لتقتلني ،ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك أني أخاف الله رب العالمين))[١٨].توظيفاً رمزياً فعدّ قابيل رمز العداوة وهابيل رمز الوداعة والسلام ولكن هناك رمزا للعداوة وكره السلام هي دولة إسرائيل التي زرعها الاستعمار في قلب الأمة العربية ،فلم تحصل فتنة في الأرض إلا بوجود إسرائيل وقد اكسب هذا الرمز العدواني المعاصر بعداً سياسياً، وبهذا التوظيف أعطى لنصه الشعري بعداً دلالياً عميقاً إذ جعل القارئ يقفز بذاكرته إلى تتبع القصة التاريخية الدينية ومراجعة جذورها في القرآن الكريم.

ويستثمر احمد مطر قصة أخرى من قصص القرآن الكريم وهي قصة أبرهة الحبشي الذي أراد هدم الكعبة الشريفة الوارد ذكرها في سورة الفيل

بقوله تعالى ((الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل..))[١٩] ولم يكن لحماة الكعبة آنذاك قدرة عسكرية في الدفاع عن بيت الله،بل كل ما قالوه :((وللبيت رب يحميه)) ولكن العرب في عصرنا هذا قد ادخلوا أبرهة في بيوتهم بإرادتهم وباركوا دخوله وما قالوا وللبيت رب يحميه. يقول احمد مطر في قصيدة عنوانها (الذئب)[٢٠].

الذل بساحتنا يسعى
فلماذا نرفض ان نحبو؟
ولماذا ندخل ابرهة في كعبتنا
ونؤذن للكعبة ربُ؟

وهو في معرض الحديث عن الحكام العرب وتخاذلهم أمام عدوهم (الاستعمار) سالب ثرواتهم ومقيد حرياتهم،ولكنه لا يقتصر باللوم على الحكام بل يلوم الشعب العربي فيصفه بقوله[٢١]:

نحن نفوس
يأنف منه العار
ويخجل منها العيب
وتُباهي فيها الإمراض
ويمرض فيها الطبُ
حقّ علينا السيف
وحق الضرب
لا ذنب لنا.. لا ذنب لنا
نحن الذنبُ

وفي قوله (ويمرض فيها الطبُ)) إشارة رائعة للوضع الاجتماعي العربي،وربما قصد ان السلوك الصحيح لا يمكن له ان ينتعش في رحمة التخاذل العربي إزاء أعدائه.

جاء التوظيف لهذه القصة على نحو مخالف فابرهة سار بنفسه لهدم بيت الله ولكن الرب حمى بيته ،في حين بارك العرب قدوم ابرهة لبيتهم ولم يحموا وطنهم .جاء ذلك بأسلوب ساخر تشم منه اللوعة والحرقة على ما يجري في وطننا العربي،لان السخرية عند احمد مطر ليست لهوا وضحكاً ،وانما هي حزن ولوعة وندم على ما يجري من حوله من ممارسات يراها ظالمة لشعب مظلوم فهو قد جند نفسه للسخرية مما يراها تناقصُا أو حالة تضاد مع الوضع الطبيعي[٢٢].

في ما مرّ من توظيف للقصة القرآنية نرى أن احمد مطر يستفيد من هذه القصص الدينية التراثية الغنية في دلالاتها الفكرية والأدبية فضلاً عن تفوقها اللغوي والإيقاعي والأسلوبي يستفيد منها في خلق دلالات مخالفة جديدة،تلفت نظر القارئ وبخاصة ان اغلب هذه الدلالات الجديدة جاءت بأسلوب ساخر مبني على المفارقة اللافتة للنظر.

المبحث الثاني
توظيف المعنى القرآني

فإذا فارقنا توظيف احمد مطر للقصة القرآنية نجد له توظيفاً آخر وهو توظيفه للمعنى القرآني؛ ففي قصيدته ((اكتشاف)) يعقد الشاعر مقارنة بين طرفين .

الأول: حكام الدولة الاستعمارية الغازية للبلاد العربية ومحاولاتهم في تطبيع ميادين السياسة في الشرق والغرب والأمم المتحدة هادفين إلى تدمير الشعب العربي وتجويعه وتقطيع أوصاله.

الثاني: حكام العرب الغافلين عن هذه الممارسات الظالمة ضد شعوبهم لا بل هم يباركون هذه الممارسات متشاغلين عن ذلك بأمور أخرى كاللهو ،والعبث،وإنفاق الأموال العربية في ميادين لا فائدة منها،مما يؤدي إلى تجويع شعوبهم بل تقطيع أيادي من يمدون أيديهم لأنهم لم يجدوا لقمة العيش التي يقتاتون عليها.

يقول [٢٣]:

الأعادي يتسلون بتطويع السكاكين
وتقطيع الميادين
وتقطيع بلادي
وسلاطين بلادي
يتسلون بتضييع الملايين
وتجويع المساكين
وتقطيع الأيادي
ويفوزون
إذا ما اخطأوا الحكم
باجر الاجتهاد
عجباً كيف اكتشفتم آية القطع
ولم تكتشفوا رغم العوادي
آيةً واحدةً

من كل آيات الجهاد؟

مقارنة ساخرة رائعة بين سياسة الأعداء ،و سياسة العرب،إذ تقوم سياسة الأعداء على تقطيع أوصال الأمة العربية بما يحوكونه من مؤامرات كأنها السكاكين الحادة ،يقابل هذه السياسة سياسة رؤساء العرب التي تقوم على اللهو وتضييع الملايين ،وهي قوت الشعب وعماد اقتصاده ومن ثم تجويع المساكين، فإذا اضطر جائع للسرقة طبقوا عليه الآية القرآنية(وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[٢٤]. فان كان حكمهم بقطع الأيدي صحيحاً فبها وإلا فلهم اجر الاجتهاد ((ويفوزون بأجر الاجتهاد)).

يعجب احمد مطر من معرفة الحكام بالآية التي يسمونها (آية القطع) وهي آية واحدة في القرآن،ولم يعرفوا آيات الجهاد الكثيرة الواردة في القرآن.

كيف اكتشفتم آية القطع

ولم تكتشفوا رغم العوادي

آية واحدة من كلّ آيات الجهاد؟

لقد وظف احمد مطر معنى الآية مارة الذكر ولم يذكرها بالنص وانما استوحى معناها مستفيداً منه في إثبات دلالة مخالفة ذلك أن الآية جاءت عقاباً لمن يسرق بعد دراسة وضعه الاجتماعي والأسباب المؤدية إلى السرقة،اما الحكام الظالمون فقد طبقوا الآية عقاباً لمن يضطر للسرقة لأنه لا يجد قوت يومه وهو يعتمد على مخزونه المعرفي والديني.وقد أضفى هذا الاستخدام للآية بعداً دلالياً كبيراً فقد استحضر الشاعر نصاً قرآنياً تراثياً جعل القارئ يقفز بذاكرته الى متابعة هذا النص.

والتوظيف هنا مبني على المناقضة التي هي ليست متوقعة،بل هي نوع من الصراع بين أمرين يعتمد الأول الحق،في حين يعتمد الثاني الباطل، ففاعلية التوجه القرآني مضادة للتوجه البشري المتمثل بممارسة الحكام ضد شعوبهم[٢٥].

وكان السبب الأقوى الذي يدعو احمد مطر إلى استخدام هذا الأسلوب النقدي الساخر من الحكام والمسؤولين ،هو كثرة الآفات العابثة بجسم المجتمع،بخاصة أن قسماً منها يرجع إلى التردي السياسي،وكان احمد مطر واحدا من الضحايا الكثيرين الذي سقطوا صرعى أمام عنف هذه الممارسات،واقصد انه دفع ثمن موقفه من سياسة الظلم والاضطهاد ،وكان هاجس مخالفة الشرع الإسلامي من الحكام والمسؤولين يؤرق الشاعر،ويدعوه الى التركيز على هذه المسالة ليذكرها أكثر من مرة متكئاً على النص القرآني يقول احمد مطر في قصيدة أخرى عنوانها (حالات) معتمداً الآية السابقة[٢٦].

بالتمادي
يصبح اللص بأوربا
مديراً للنوادي
وبأمريكا
زعيما للعصابات وأوكار الفساد
وبأوطاني التي
من شرعها قطع الأيادي
يصبح اللص
رئيساً للبلاد

فقد اتكأ احمد مطر في خطابه الشعري على المعنى القرآني في الآية ((والسارق والسارقة...)) بعد ان خلصه من سياقه الأول ووضعه في سياق جديد معتمدا معناه الأول وذلك بعد ان عقد مقارنة بين ما يكون في أوربا من معاملة للص الذي يحول إلى مدير للنوادي وهي وظيفة لا تشرف صاحبها بل هي متوائمة مع طبيعة اللصوص وكذا الحال في أمريكا التي يصبح اللص فيها مديراً للعصابات وأوكار الفساد وبين البلاد الإسلامية التي تعتمد الشرع الإسلامي الذي يعاقب اللص بقطع اليد ولكن لم تكن هذه العقوبة لتحدث وانما الذي يحدث خلاف ذلك ،إذ يصبح اللص رئيساً للبلاد وتسلم مسؤولية الناس بيد هذا السارق .

وهذا نوع من المفارقة بين ما يتوقعه القارئ أو السامع وبين ما يحدث فعلاً وهو أمر مخالف لتوقع القارئ.

وبذلك يكون احمد مطر قد وظف معنى النص القرآني توظيفاً على نحو آخرً بالسخرية من الوضع السياسي والأساليب الخارقة للثوابت الإسلامية معتمداً في إيصال معناه على ثقافة القارئ الدينية ومخزونه القرآني .

وهكذا فان الخطاب الشعري عند احمد مطر يتكئ -بذكاء- على توظيف النص القرآني بوصفه أداة لتحقيق نوع من الاستعلاء للخطاب الشعري من ناحية وتحقيق نوع من التأثير الديني الخفي أو المضمر من ناحية أخرى[٢٧].

وفي قصيدة أخرى ينحو احمد مطر المنحى نفسه في توظيف معنى النص القرآني توظيفاً على نحو آخر، الهدف منه خدمة النص الشعري مستندا إلى أسلوب السخرية، معتمدا على ثقافة القارئ ومخزونه القرآني في فهم المعنى المقصود ففي قصيدة (الله اعلم) يقول[٢٨]:

أيها الناس اتقوا نار جهنم
لا تسيئوا الظن بالوالي
فسوء الظن في الشرع محرم
أيها الناس أنا في كل أحوالي
سعيد ومنعم
ليس لي في الدرب سفاح
ولا في البيت مأتم
ودمي غيرُ مباح وفمي غير مُكتمّ
فإذا لم أتكلم
لا تشيعوا ان للوالي يداً في حبس صوتي
بل أنا يا ناس أبكم
قلت ما اعلمه عن حالتي
والله اعلم

وهنا يذكر احمد مطر عدة أشياء لينفي عن الوالي وهو الحاكم سوء الظن فهو سعيد ومنعم ،وليس في دربه سفاح ولا في بيته مأتم.

ودمه غير مباح وفمه غير مُكتم ولكنه لا يتكلم ، وهو لايستطيع ان يفصح عن رأيه ويعبر عن حريته .

وهذا شيء خلاف ما يدعيه من معاملة الوالي له ،ثم يقول: قلت ما اعلمه عن حالتي والله اعلم فهو أبكم. وهو يقول ما يعلمه عن حالته وهذه مفارقة عجيبة وتضاد تعرف منه روح السخرية من الحاكم. ومع كل ذلك فالشاعر يبدأ قصيدته بقوله :

ايها الناس اتقوا نار جهنم
لا تسيئوا الظن بالوالي
فسوء الظن في الشرع محرم

فهو قد وظف معنى نصٍّ قرآني بقوله : لا تسيئوا الظن بالوالي فسوء الظن في الشرع محرم .

وهذا التوظيف جاء مخالفا لمضمون النص القرآني الذي يدعو الى اجتناب سوء الظن .

ولكن النص الشعري جاء بأشياء ليست هي من سوء الظن وانما هي حقائق يعيشها الإنسان العربي ولاسيما العراقي في ظل ممارسة قمعية جائرة تطاله في كل مكان إذا أبدى معاكسة لسلطة الحكم .

فلقد اعتمد احمد مطر معاني نصوص قرآنية منها ((واتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة))[٢٩].

وهذا ما أعطى نصه الشعري بعداً ايحائياً ودلالياً كبيراً ودعّم معناه وهدفه إذ أراد ان يثبت خلاف ما قاله من أشياء هي في صالح الوالي ،فكانت هذه النصوص أو العبارات القريبة من النصوص القرآنية علامات مضيئة بين تراكيب نصه الشعري إذ أعطته بعداً دلالياً كبيراً.

المبحث الثالث

في توظيف النص القرآني مع شيء من الحذف أو التحريف.

توفر شعر احمد مطر على احتواء كثير من النصوص القرآنية مستفيداً من معانيها ومناسباتها موظفاً إياها في معانٍ جديدة ودلالات مثيرة تنمّ عن ذكاء مفرط في استخدامه لتلك النصوص وعن أهداف كثيرة كان ينوي تأكيدها في نصه الشعري ليجذب القارئ ويشد انتباهه،فهو ينتقل بالقارئ من مرحلة إلى

مرحلة في خط تصاعدي تجعل قارئه مشدوداً إلى نصه الشعري مترقباً بانفعال شديد ولهفة عارمة ما يؤول إليه النص وتبلغ هذه الحالة ذروتها حين يربط بين المعنى المقصود والهدف المنشود من وراء النص الشعري باعتماده النص القرآني الذي يأتي متساوقاً مع النص الشعري لتكون دلالة النص القرآني مثرية لدلالة النص الشعري ذلك أنّ النص القرآني سواء أكان جملة واحدة أم أكثر او نصاً من عدة جمل إذا دخل في ثنايا النص الشعري فانه سيغني ذلك النص ويعطيه مسحة توثيقية تراثية فضلاً عمّا يضفيه عليه من جمال في الإيقاع والمعنى ولهذا تبارى المبدعون في الاقتباس من النص القرآني حتى تأخذ نصوصهم مسحة قرآنية .

يقول احمد مطر في قصيدته(كلمات فوق الخرائب)[٣٠].

قفوا حول بيروتَ
صلوا على روحها واندبوها
وشدّوا اللحى وانتفوها
لكي لا تثيروا الشكوك
وسلوا بسيوف الشباب ،لمن قيدوها
ومَن ضاجعوها
ومن احرقوهاا
لكي لا تثيروا الشكوك
ورصوا الصكوك
على النار كي تطفئوها !
ولكن خيط الدخان
سيصرخ فيكم دعوها

ويكتب فوق الخرائب

...

إذا دخلوا قرية أفسدوها

فان احمد مطر يتحدث عن موقف الرؤساء والحكام العرب حيال قضية (بيروت) التي فرقتها الحرب الدائرة بمباركة المخططات الصهيونية والأمريكية التي حرصت على إشعال نار الفتنة بين أهلها .

يخاطب هؤلاء الحكام ويطلب منهم ان يصلّوا على روح بيروت ويندبونها وان ينتفوا لحاهم ليأكدوا صدق ندبهم وصلاتهم وان يسلوا سيوف السب والشتم على من احرقوا بيروت ويلتفت التفاته ساخرة فيقول ((ورصوا الصكوك على النار كي تطفئوها)).

وهي التفاته فيها سخرية كبيرة من نقود هؤلاء الحكام ومن صكوكهم التي لم تنفع في يوم (ما) بلداً عربياً ولا شعباً ولا حتى شعوبهم.يطلب منهم ان يجمعوا هذه الصكوك لتكون طبقة عازلة لتطفئ نار الحرب المشتعلة.

يتدرج احمد مطر في هذه السخرية المثيرة متنقلاً بقارئه من مرحلة إلى مرحلة في خط تصاعدي مثيراً فيه الدهشة والغرابة من خيانة هؤلاء الحكام ولكن الدهشة تبلغُ أقصى مداها حين يعمد إلى إدخال نص قرآني في آخر نصه الشعري وذلك حين يقول :

ولكن خيط الدخان

سيصرخ فيكم دعوها

ويكتب فوق الخرائب

...

إذا دخلوا قرية أفسدوها

وهو يشير في عبارته الأخيرة الى الآية القرآنية ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾[٣١].

لقد عرض احمد مطر قضية خيانة الحكام لقضايا الامة ومنها قضية بيروت وحربها المشتعلة وعدم التفات هؤلاء الحكام لذلك على الرغم مما يملكون من صكوك وأموال كان بمقدورهم ان يقدموا بعضاً منها لمساعدة الشعب اللبناني ورسم لنا صورة لهذه الصكوك في قوله :ورصوا الصكوك .

فلو رصت هذه الصكوك وجعلت في خدمة القضية لأطفأتها ولكن ذلك لن يحدث.

ثم توج كله بنص قرآني ((إذادَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا)) بعد حذف شيء منه ليعطي برهاناً ودليلاً على صحة كلامه وبذلك وثق كلامه مستفيداً من القيمة الاعتبارية والتوثيقية الكبيرة التي يتمتع بها النص القرآني في إسناد الحقيقة والبرهنة عليها تلك القيمة التي لا يضاهيه فيها نص آخر.ولا يفوتني ان اذكر هذه المسافة الجمالية التي تركها الشاعر فلم يذكر النص القرآني كاملاً بل قال ((..إذادَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا))فقد ترك للقارئ ان يدلي بدلوه في هذه الفراغ الجميل وترك للقارئ ان يرجع إلى مخزونه الثقافي والفكري المستمد من النص القرآني المعروف .

وهذا الفراغ أو المسافة الجمالية لها اعتبار كبير في رأي النقد الحديث والمناهج النقدية ..إذ أصبحت في شعر الحداثة قطاعاً صياغياً من الطراز الأول إذ متلت عندهم أداةٍ من أدوات إنتاج المعنى وهذا يعني حضور المخالفة مع المورث الشعري الذي قام على التوازن بين البياض الفراغي والسواد الكتابي لعدم قابلية نظامه الإيقاعي للاهتزاز أو الانحراف .

وقد حافظ شعراء التفعيلة على شيء من هذا التوازن ولكن شعراء الحداثة أهدروه إهداراً مطلقا، إذ أصبح الفراغ والمساحات البيضاء هدفاً إنتاجياً ومن ثم اخذ البياض نوعاً من الحرية في الاتساع والضيق الذي يؤثر بالضرورة على السواد الكتابي.

المبحث الرابع

في توظيف المفردة القرآنية

مهاد نظري عن دور الكلمة في البناء الشعري.

تناول النقاد العرب القدماء مسألة اللفظ والمعنى واشبعوا هذا الموضوع بحثاً وكانت لهم آراء متضاربة احياناً ومتفقة في أحيان أخرى وكان الجاحظ(ت٢٥٥هـ) من ابرز الذين كانت لهم آراء حول الموضوع وهو يرى: ((ان المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج)) [٣٤] وانه قد ثمن النص الأدبي من خلال إيثاره اللفظ على المعنى[٣٥].وهو بهذا يؤكد أهمية المفردة في البناء اللغوي ومن ثم في البناء الشعري .

ويرى ابن رشيق القيرواني(ت٤٥٦هـ) ان اللفظ جسم روحه المعنى[٣٦] ومعنى هذا اللفظ يكتسب قيمته وأهميته في دلالاته على المعنى الكامن فيه وقد تُوجتْ هذه الآراء بآراء عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ او ٤٧٤هـ) فقد كانت له مجموعة آراء عن الكلمة المفردة تصبُ كلها في مسار واحد.يؤكد فيه،أن لا مزية للكلمة المفردة الاّ من خلال التركيب يقول: ((وهل تجد احداً يقول هذه اللفظة فصيحة الاّ وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها وفضل مُؤانستها لأخواتها...))[٣٧].

ويقول في موطن آخر ((فقد اتضح إذن اتضاحاً لا يدع للشك مجالا ان الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كَلِم مفردة وان الألفاظ تثبتُ لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها او ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ))[٣٨].

وأظن ان آراء الجرجاني أكثر ملاءمة مع الشعر القديم في بنائه اللغوي والموسيقى ولكنها غير ملائمة للشعر الحديث وشعر الحداثة خاصة الذي تخطى الحدود وأسس لقوانين جديدة في البناء الشعري،نلاحظ على سبيل المثال ان المفردة تشغلُ سطراً كاملاً في البناء الشعري وتؤدي دلالات معينة،وتسهم أسهاماً فاعلاً في إكساب النص الشعري بعض شعريته.

واني واجد في آراء ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) عن المفردة ما يخالف فيه آراء عبد القاهر الجرجاني ،إذ نراه يعطي الكلمة المفردة بعض المزايا ويرجع بعض حقوقها التي سلبتها منها آراء الجرجاني .يقول في بعض نصوصه:-

((فاعلم ان الألفاظ تجري من السمع مجرى الأشخاص من البصر،فالألفاظ الجزلة تتخيل في السمع كالأشخاص عليها مهابة ووقار،والألفاظ الرقيقة تتخيل كأشخاص ذوي دماثة ولين وأخلاق ولطافةِ مزاج...))[٣٩].

وأراء ابن الأثير هذه تؤكد أهمية اللفظة المفردة ودورها في البناء اللغوي مع احتفاظها في ذاتها بجملة من المزايا.

إذ لا تقل اللفظة شأناً عن التركيب التشبيهي أو الاستعاري أو الكنائي،لما تثيره تلك الكلمة من أثار في ذهن المتلقي تنشأ عن تلاحم الأصوات،وتآلف الحركات مع دلالة اللفظ[٤٠].

وأحسن صورة عن اللفظ والمعنى عند النقاد العرب القدماء أنهم وازنوا بين الاثنين،إذ المعاني أرواح الألفاظ،وغايتها التي لأجلها وضعت وعليها بنيت[٤١].

والملاحظ أن كثيرا من الدارسين لا يعطون أهمية كافية لمنطقة الإفراد – كما يرى احد الدارسين- وهو يقصد اللفظة المفردة- لأنها غير كافية من وجهة نظرهم في إنتاج المعنى،ومن ثمّ اتجهت عنايتهم إلى منطقة التركيب،يحاصرونها بالتحليل والتفسير ظناً منهم أنها وحدها صاحبة إنتاج الأدبية ،ولكن ذلك غير كافٍ في التعامل مع الخطاب الشعري،ومع غيره من خطابات الحداثة،وربما كان ذلك وراء بعض الظواهر الشكلية فيه مثل استقلال الشطر الشعري بالمفردة[٤٢].

وهذا الأسلوب في كتابة الشعر الحديث كثير الورود عند كثير من الشعراء إذ يصح القول ((ان الدال المفرد أصبح مجسد البنية الصغرى في شعر الحداثة))[٤٣] ويحظى شعر احمد مطر بنصيب وافر من ذلك كما سنرى في إثناء البحث.

١- المفردة القرآنية وشعر احمد مطر .

فإذا انتقلت إلى رحاب المفردة القرآنية سنجد هذا الأمر أكثر وضوحاً((فإذا كان كل كلمة أياً كانت توقظ في الذهن صورة ما))[٤٤]، فان المفردة القرآنية بما لها من جلالة وقداسة في نفس المتلقي تكون أكثر جلاءً وقدرة على خلق آفاق الشعرية في النص الشعري حين يلجأ إليها الشاعر لتوظيفها في نصه الشعري.وذلك لان المفردة القرآنية تطوي أمام الشاعر مسافات طويلة من التعبير وتلهمه تصوير الموقف أدق تصوير[٤٥].

ولأن القرآن كله حشد فني عظيم متكامل[٤٦] بما يضم بين دفتيه من مفردات ونصوص وبما تحتويه هذه المفردات والنصوص من معانٍ عميقة ودلالات بعيدة يعجز عن تصورها القارئ احياناً وقد وصفت بعض آياته بأنها لا يدركها إلاّ الراسخون في العلم ،والنص القرآني حامل لعدد كبير من القيم الجمالية والبلاغية والفنية والنقدية والأدبية والأسلوبية واللغوية، ولا زال الدرس والبحث يقترب منها ولا يبلغ كلّ ما تنطوي عليه من أسرار[٤٧] فكل ما في القرآن من حروف وكلمات وأدوات لها دلالة خاصة وليس في القرآن حشو أو زيادة مع العلم انه ليس بشعر ولا نثر،((وهو وجود لغوي ركب ما فيه على ان يبقى خالداً مع الإنسانية))[٤٨].وهو كتاب يصلح لكل زمان ومكان وصفته الشمولية هذه أعطته أهمية وعظمة حار فيها المتخصصون ((ولا يزيد العلم بلغته والوقوف عند إسرارها إلا إذعاناً بعظمتها وثقة بالعجز عنها))[٤٩].

لقد وظف احمد مطر كثيراً من مفردات القرآن في نصوصه الشعرية مما يدل على ثقافته الإسلامية الواسعة فكانت هذه الألفاظ علامات مضيئة في نصوصه الشعرية أكسبتها شعرية وأدبية عالية،لان الألفاظ القرآنية حين تُذكر في النص الشعري أو أي نص آخر تثير معها أجواءها وتشد القارئ لعالمها ، فكثيرا ما تكون المفردات أو الصور الجزئية غير مثيرة بذاتها ولكنها حين نتمثلها في الوحدة الشاملة أو الصورة الكلية سنكشف من خلالها الأعاجيب[٥٠].

و رصد البحث مجموعة من المفردات ذات الدلالة الشعرية والأدبية واللغوية والإيقاعية واكتفى بذكر بعضها لان طبيعة البحث لا تسمح بذكرها جميعاً منها على سبيل المثال ما جاء في قصيدته التي عنوانها: (الحبل السري)[٥١].

ادري بأن النار
موقدة،من حطب الفقر
ليدفأ الدولار

فهناك لفظتا(النار،موقدة اللتان استلهما الشاعر من الآية القرآنية ((كلا لينبذنّ في الحطمة،وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة،أنها عليهم موصدة في عمدٍ ممدة))[٥٢].

لقد استلهم كلاً من اللفظين وأخرجها من سياقها الأول الذي يصور النار موصدة على الكافرين،وادخلهما في سياق ثاني ودلالة ثانية وهي ان النار توقد من فقر الفقراء ومن قوتهم ليدفأ بها الدولار بمعنى ان أموال الفقراء واستحقاقهم من ثروة بلادهم لينعم بها الأغنياء أصحاب الدولار بالدفئ والأمان،كلمة النار وصفتها (الموصدة) اللتان هما رمزاً لتعذيب الكافرين صارت رمزاً لسلب قوت الفقراء ورمزاً لخدمة الظالمين الذي يسرقون قوت الفقراء والقارئ يقدر الاستعمال المعاكس لهاتين المفردتين.

وفي القصيدة نفسها وهو يتحدث عن دولة إسرائيل يقول[٥٣]:-

وما لنا نعيش في جهنم
وامها في جنة تجري
من تحتها الأنهار

فهو يوظف كلمات جهنم ،تجري من تحتها الأنهار وهو يقتلع الكلمات من سياقها القرآني ويجعلها في دلالة ثانية معاكسة للأولى فالشعب العربي يعيش في جهنم وإسرائيل تجري من تحتها الأنهار،فالدلالة الأولى في القرآن ان الأنهار تجري تحت أقدام المؤمنين الصادقين ولكنها في الدلالة الثانية جعلها تجري من

تحت اقدام الغاصبين لخيرات الشعوب فقد وظفها في دلالتها المعاكسة مستفيداً من ثقافة القارئ الدينية ومن المعنى الدلالي الأساس لتلك الكلمات.

وفي قصيدة (الجزاء) يقول[٥٤] :-

ولدينا نحن أصحاب اليمين[٥٥]
يبصق المرء دماً تحت أيادي المخبرين
ويرى يوم القيامة
عندما ينشر ماء الورد والهيل بلا إذن
على وجه أمير المؤمنين

فهو يوظف كلمات (أصحاب اليمين) مقتطعاً أياها من سياقها القرآني (وأصحاب اليمين وما أصحاب اليمين) ليعطيها دلالة أخرى عندما يُكافأ من ينثرُ الهيل بلا إذن على وجه أمير المؤمنين بالعذاب والعقاب إذ يرى يوم القيامة من جرّاء نثره الهيل من دون إذن على وجه أمير المؤمنين.

وفي مقطوعة أخرى يتحدث عن شيطان الشعر الذي ألهمه قصيدته ولكنه قبل ذلك خط على جبينه عبارة (أعوذ بالله من الشيطان) يقول[٥٦]:-

وقبل ان يوحي لي قصيدتي
خط على قريحتي
أعوذ بالله من الشيطان

إذ تحول الشاعر إلى شيطان في نظر شياطين الطغاة الذين ينظرون إلى شعره للإيمان بأنه أداة قمع ضدهم.

وفي قصيدة (اين المفر) يوظف احمد مطر مفردات قرآنية في قوله[٥٧]:-

أوطاننا قيامة
لا تحتوي غير سقر

والمرء فيها مذنب وذنبه لا يغتفر
إذا أحس أو شعر
يشنقه الوالي قضاء وقدر

فقد وظف كلمة قيامة،وسقر فالوطن وهو مكان الاستقرار والرخاء والراحة أصبح قيامة ليس فيها إلا سقر وهي درجة من درجات النار.

وقد استفاد من المعنى القرآني الذي يصور حالة القيامة وشدتها على الكافرين ،الذين لا يؤمنون بالله ودينه ولا يؤدون الصلاة كما في قوله تعالى ((ما سلككم في سقر قالوا لم نكُ من المصلين))[٥٨].

فالقيامة وسقر في النص القرآني عقاب للكافرين ولكنها في نص الشاعر أصبحت عقاباً للمظلومين في أوطانهم.

وفي قصيدته (بلاد ما بين النهرين) يوظف احمد مطر كلمة (ريب) الواردة في النص القرآني (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)[٥٩] مستخدماً أسلوب القسم أيضاً يقول[٦٠]:-

ذلك الجيش لا ريب في الريب فيه

بعد ان افرغ الآية القرآنية من دلالتها واستخدمها في دلالة أخرى مضادة.

فدلالة القسم هي تأكيد ان الكتاب المقدس لا شك فيه وانه هدى للناس وقد استغل احمد مطر هذا الأسلوب فأكد ان الجيش وهو بالطبع أداة السلطة ان هذا الجيش (لا شك في الشك فيه) على انه أداة لقمع الشعوب المطالبة بحقها في الحياة ويؤكد ما هدف إليه من معنى بقوله[٦١]:-

الم تر كيف أغار على أهله كالذئاب
وولى امام العدى كالغنم

فالقسم في الآية القرآنية جاء لتأكيد ان القرآن هدى للناس ولكنه في النص الشعري جاء لتأكيد ان الجيش أداة قمع لشعبه ولكنه متخاذل أمام أعداء الشعب.

الخاتمة ونتائج البحث

استعرض البحث حالات من التوظيف القرآني في شعر احمد مطر منها توظيف القصة القرآنية والمعنى القرآني والنص مع بعض التحوير والمفردة القرآنية وقد خلص البحث من خلال دراسة الشعر الواردة فيه تلك المفردات إلى نتائج من أهمها:-

١. ان احمد مطر من خلال شعره يتمتع بثقافة قرآنية ودينية وإسلامية عالية كانت تلح عليه في التعامل مع النص القرآني بطريقة جديدة جذابة وموحية.
٢. لم تكن توظيفات احمد مطر للنص القرآني أو المفردة القرآنية تقليدية تجري على عادة الشعراء القدماء قبله الذين حاولوا إدخال نصوص قرآنية او مفردات في شعرهم من اجل ان يكون النص القرآني مقوياً وساناداً للمعنى في النص الشعري،وإنما كانت تلك التوظيفات بطريقة جديدة وهي غالباً ما تكون معاكسة أو مضادة لمعنى النص .خلُصَ الشاعر من خلالها إلى دلالات جديدة أثَرْتْ نصه الشعري.
٣. لم تكن طريقة احمد مطر في هذا التوظيف تهدف إلى معاكسة النص القرآني في معناه ،وإنما كانت تعبر عن حالة تصادم بين مفهوم إسلامي وتصرف سلبي مضاد لذلك المفهوم،وهو يهدف به من ذلك إلى ترسيخ المفهوم القرآني والدعوة إلى تطبيقه.

٤. أسلوب السخرية الهادفة هو القاسم المشترك الذي ينتظم توظيفات احمد مطر للنصوص القرآنية ،وغالباً ما تكون هذه السخرية مبنية على أسلوب المفارقة.

Abstract

Since my acquaintance with the complete Poetic collection of the Basra Poet ((Ahmad Motar's)) I have admired this collection for it's compactness and arguments; As result of this feeling .

I wrote down on it's first page.

To ((Ahmad Motar's)) I found my self in you .My admiration even increased whenever Repeated reading this collection Thus I had more than one attempt with the poetry of this man.

One of my rounds with this poetry is the present research .

This research consists of a prelude and four sections in the prelude the role of Koranic verses in enriching the literary text is tackled .

The first section dealt with the employment of the Koranic episode in the literary text.

Ahmad mutar had chosen a selection of Koranic tales and he made use of these tales or episodes.

The second section dealt with use some Koranic verses that enriched his poetic texts greatly.

The third section dealt with the way the poet used to benefit from the Koranic verses . the poet added or deleted some parts of the Koranic verses without effecting the sessence of the koranic text.

The fourth section dealt with was about the employment of the Koranic individual item or word as this word containsd a variety of meaning and suggest great indications through ite use in the poetic text and as this Koranic item is always expressive and suggestive .

The research ends with the important conclusions the researcher has attained researcher.

هوامش البحث

١- انظر : نقد الحقيقة .علي حرب/١١.
٢- نفسه/٢٦.
٣- تاريخ آداب العربية/الرافعي ١٤/١.
٤- انظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ١٧١/١.
٥- انظر : التقابل الجمالي في النص القرآني /١٣.
٦- نفسه /٣.
٧- انظر :الشعرية العربية .ادونيس/٥١.
٨- نفسه :/٥٤.
٩- اثر القرآن في الشعر العربي الحديث/٨٨.
١٠-الإعمال الشعرية الكاملة.احمد مطر /٢٣.
١١-الصافات /١٠٢.
١٢- الصافات/١٠٧.
١٣- الإعمال الشعرية الكاملة/٦٦.
١٤-التوبة /٤٠.
١٥- انظر: اثر التراث في الشعر العراقي الحديث د. علي حداد/٨٣.
١٦- الإعمال الشعرية الكاملة /٦٧.
١٧- نفسه /٣٣٩.
١٨- المائدة/٢٨.
١٩- سورة الفيل.
٢٠- الإعمال الشعرية الكاملة /٤٢.
٢١- نفسه ٤٢-٤٣.
٢٢- شعرية السرد في شعر احمد مطر د.عبد الكريم السعيدي/١٢٩.
٢٣- المصدر السابق/٥٠.
٢٤- المائدة /٣٨.
٢٥- انظر : هكذا تكلم النص ٥٨-٥٩.

٢٦- الإعمال الشعرية الكاملة ٧٦-٧٧.
٢٧- انظر : هكذا تكلم النص /٩٥.
٢٨- المصدر السابق/٢٧.
٢٩- البقرة /٢٤.
٣٠- الإعمال الشعرية الكاملة /٤٠.
٣١- النمل /٣٤.
٣٢- هكذا تكلم النص /١٦٠.
٣٣- انظر: الأسس النفسية لأساليب البلاغية العربية/٩١-٩٢.
٣٤- الحيوان ١٣١/٣.
٣٥- النظرية النقدية عند العرب/١٧٧.
٣٦- العمدة .ابن رشيق ٢٤/١.
٣٧- دلائل الإعجاز /٣٦.
٣٨- نفسه /٣٨.
٣٩- المثل السائر /٢٥٤ وينظر الفن القصصي في القرآن .محمد احمد خلف الله/٢٣٨.
٤٠-هكذا تكلم النص /١٦٠.
٤١-صحيح الأعشى ١٩٢/٢.
٤٢- المصدر السابق /١٥٥.
٤٣- نفسه /١٥٥.
٤٤- اللغة .فندريس /٢٣٧.
٤٥- اثر القرآن في الشعر العربي الحديث /٩٧.
٤٦- التعبير القرآني /٢٢٢.
٤٧- التقابل الجمالي في النص القرآني.
٤٨- تاريخ آداب اللغة العربية /الرافعي١٤/١.
٤٩- النبأ العظيم .محمد عبد الله دراز/١٨.
٥٠- انظر التفسير النفسي للأدب/٩٨.

٥١- الإعمال الشعرية الكاملة /١٤-١٥.
٥٢- الهمزة /٤-٦.
٥٣- المصدر السابق.
٥٤- المصدر نفسه /٢٥.
٥٥- الواقعة /٢٧.
٥٦- المصدر السابق /٣٢.
٥٧- نفسه /٥٤.
٥٨- المدثر /٤٢-٤٣.
٥٩- البقرة ١-٢.
٦٠- الإعمال الشعرية الكاملة ٢٦٨.
٦١- المصدر نفسه /٢٦

قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم .
٢. اثر التراث في الشعر العربي الحديث د.علي حداد.دار الشؤون الثقافية العامة .بغداد.١٩٨٦م.
٣. اثر القرآن في الشعر العربي الحديث د.شلتاغ عبود ط/١. دار المعرفة.دمشق ١٩٩٧م.
٤. الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية- د.مجيد عبد الحميد ناجي.المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.بيروت١٩٨٤م.
٥. الإعمال الشعرية الكاملة.احمد مطر ط/٢ لندن ٢٠٠٣م.
٦. تاريخ آداب العرب .مصطفى صادق الرافعي ط/٤ دار الكتاب العربي.بيروت١٩٧٤م.
٧. التفسير النفسي للأدب .د.عز الدين إسماعيل .دار العودة- بيروت د.ت.
٨. التقابل الجمالي في النص القرآني .أ.د.حسين جمعة.منشورات دار النمير دمشق ط/١/٢٠٠٥.
٩. التعبير القرآني.د.فاضل السامرائي.دار الزهراء ط/١/١٣٨٧هـ.
١٠. الحيوان.الجاحظ.تح عبد السلام هارون مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ط/١ ١٩٣٨م.

١١. دلائل الإعجاز .عبد القاهر الجرجاني.دار المعرفة .بيروت – لبنان ١٩٨١م.
١٢. دلالة الألفاظ .د. إبراهيم أنيس.مكتبة الانجلو المصرية .
١٣. شعرية السرد في شعر احمد مطر.د.عبد الكريم السعيدي ط/١.دار السياب.لندن،٢٠٠٨م.
١٤. الشعرية العربية.أدونيس ط/١. دار الآداب . بيروت ١٩٨٥.
١٥. صبح الأعشى في صناعة الانشا.القلقشندي.وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للثقافة .القاهرة ١٩٦٣م.
١٦. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده .ابن رشيق القيزواني.تحقيق .محمد محي الدين عبد الحميد .دار الجيل،ط٤ ١٩٧٢.
١٧. اللغة. فندريس. ترجمة عبد الحميد الدوخلي ومحمد القصاص.مطبعة لجنة البيان العربي١٩٥٠م.
١٨. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر .ابن الأثير .تحقيق د.احمد الحوفي ود.بدوي طبانه.
١٩. النبأ العظيم.محمد عبد الله دراز .ط/٨ دار القلم للنشر .القاهرة ١٩٩٦م.
٢٠. النظرية النقدية عند العرب .د.هند حسين طه .وزارة الثقافة والإعلام الجمهورية العراقية ١٩٨٣م.
٢١. النقد والإعجاز .محمد عريشي.اتحاد الكتاب العرب .دمشق ٢٠٠٤م.
٢٢. نقد الحقيقة علي حرب.ط/٣ المركز القافي العربي ٢٠٠٠م.
٢٣. هكذا تكلم النص د.محمد عبد المطلب .الهيأة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧م.